أيضاً، مبرر وضروري، ولكن يعني، في الوقت ذاته، ان المنحى القومي، في كل الافتراضات، يتضمن التعبئة البورجوازية للطبقة العاملة، ولا يمكن، والحال هذه، ان يكون تقدمياً إلا في المراحل التاريخية التي تؤلف فيها مساهمة البورجوازية فعلاً تقدمياً في حركة التاريخ، أي إلا في مراحل «التحرر الوطني» ومراحل مقاومة الرجعيات الأشد، أي الفاشية والاقطاعية، الخ.

□ علاقة الرجعية اليهودية في اوروبا الشرقية والوسطى بالمخابرات الغربية، وخصوصاً البريطانية، ترجع الى زمن طويل. ولكن بعد ان انشئت التنظيمات الصهيونية الأولى صارت هذه العلاقة منظمة، ووثيقة، ومؤثرة في الاحداث.

خيوط هذه العلاقة غير معروفة بوضوح، وان كان من الضروري التحري عنها، واستقصاؤها، نظراً لأهميتها التاريخية، من جهة، ولدورها في الأحداث العالمية التالية، من جهة أخرى. واذا كانت الخيوط المذكورة غير معروفة، فان آثارها معروفة، من خلال الثورات المضادة، او محاولات الثورات المضادة، التي كانت أوروبا الشرقية والوسطى مسرحاً لها.

ركبت التنظيمات الصهيونية السرية والعلنية موجتين مترافقتين: الاولى هي الموجة الدينية، الرجعية بشكلها ومضمونها؛ والثانية هي موجة الدفاع عن النفس ضد معاداة السامية، وضد التمييز العنصري ويمكن ان تقع ضمن أحد اطارين: الأول ليبرالي ـ ديمقراطي، ويكون تقدمياً في الوقت عينه؛ والثاني طبقي ـ بروليتاري، ويجب التدقيق كثيراً في معناه من أجل تقويمه.

يمكن ان يكون الدفاع عن النفس ضد العنصرية ضمن الاطار الطبقي البروليتاري ثورياً، إذا حقق الامور التالية:

١ ـ ان يكون مضمونه طبقياً ـ بروليتارياً فعلاً، أي يجمع بين النضال ضد العنصرية (وهو من نوع «التحرر الوطني»)، وبين النضال الطبقي من أجل مصير الطبقة العاملة (وهو، وحده، يعطي الصفة الطبقية ـ البروليتارية للنضال).

٢ ـ ألا يقع في نضاله ضد العنصرية في مطب العنصرية المضادة، أي ألا يقابل عنصرية الآخرين بعنصريته الخاصة.

٣ ـ ألا ينشئ حاجزاً عنصرياً بين نضاله الطبقي ـ البروليتاري، ونضال العنصر الآخر الطبقي ـ البروليتاري، أو حتى الديمقراطي.

٤ ـ أن ينتهي نضاله ضد العنصرية آلياً بانتهاء التمييز العنصري؛ بمعنى ألا يُتَّخذ النضال ضد التمييز العنصري ذريعة من أجل نشاطات أخرى، لا علاقة لها بذلك.

٥ ـ ألا يتحالف في النضال ضد العنصرية مع رجعيته، وبورجوازيته، لان معاداة الرجعية والبورجوازية للعنصرية هي ذاتها، قائمة على اساس عنصري، ولذا يختلف مضمونها عن معاداة الطبقة العاملة للعنصرية؛ ولأن التحالف مع الرجعية والبورجوازية، في هذا المجال أو غيره، يبعد الطبقة العاملة من النضال الطبقي ـ البروليتاري، وقد يُفقِد نضالها ضد العنصرية لا ثوريته فحسب، وانما تقدميته أيضاً.

في المقابل، بمقدار ما يبتعد التنظيم الذي انشئ بقصد الدفاع عن النفس ضد التمييز العنصري عن المضمون الثوري، ينتقل الى الحيز الديمقراطي ـ التقدمي، ثم يفقد تقدميته، ويتحول الى الحيز الرجعي.

معنى ذلك أن تحركاً ما قد يبدأ تقدمياً، أو حتى ثورياً، ولكن يتحول، تدريجياً، الى رجعي؛